منهج تأليف التراجم في كتاب "عنوان الدراية" للغُبريني

the translation authorship approach in anwan-adirayah's book by Al-Ghabrini

ط.د:سعيداني محمد *

أ.د: بلحسين محمد♣

تاريخ الإرسال: 2020/07/18	تاريخ القبول: 28 / 09 / 2020	تاريخ النشر: 30 / 03 / 2021

الملخص:

تُشكل التراجم الأدبية نمطا من أنماط الكتابة التاريخية التي استطاعت أن تظفر بمكانة رفيعة عند الباحثين على مختلف العصور،لما تنطوي عليه من معارف نفيسة وأخبار نادرة، وكتاب "عُنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" ممّا يصدق عليه اعتباره ضمن كتب التراجم، لأنّه يُترجم فعلا لفئة من الناس تجمعها صفة الاهتمام بالدراسات التاريخيّة والأدبيّة واللغويّة، ولمّا كان هذا الكتاب ذا أهمية بالغة في بابه لتعلقه بتاريخنا الثقافي والاجتماعي، ارتأيت أن تكون هذه الذّخيرة موضع دراستي في الكشف عن منهج أبي العبَّاس الغُبريني في تأليف تراجمه.

الكلمات المفتاحية: التراجم،السيّر،علم الرواية،علم الدّراية.

المؤلف المرسل: سعيداني محمد saidanimohammed86@gmail.com

*جامعة ابن خلدون، تيارت: (University of Tiaret)، saidanimohammed86@gmail.com

♣جامعة ابن خلدون. تيارت: (University of Tiaret)، belhocine.mohamed38@gmail.com

Abstract:

translation is one of the historical writing forms which had a decent position by rsesearchers ,because it contains vualable knowledge and a rare news. anwan-adirayah fiman ourifa mina al- oulama fi alma-a al-sabi-a bi Bejaia's book is one of the translation literatures because it was translated for a group of people who were interested in the historical, literary and linguistic studies. for the importance of this book, I am going to reveal Abi Abbas Al-Ghabrini's method in authoring his translations.

Key words: translations, biographies, novel science, knowledge science.

*** *** ***

1. مقدمة:

إنّ الاهتمام بكتب التراجم فصل هام في مراجعة التراث العربيّ، وإعادة قراءة مضّامينه. ولـذلك نجـد "أن القـدماء يُعنـون العنايـة كلهـا بتـدوين تـراجم الرجـال على اخـتلاف عصورهم وأوطانهم وتنوع طبقاتهم واختصاصاتهم، وقد كان للمشارقة فضل السبق في وضع تراجم الصحابة، وطبقات المحدثين، وطبقات الأطباء، والعلماء، والنحاة، وتراجم الأدبـاء والشّـعراء، وتـبعهم الأندلسـيون في ذلـك، فـألفوا المعـاجم والفهـارس، والبرامج والصِلات والـذُيول وغيرهـا، ومـن أشـهر المؤلفـات الأندلسـية الرائـدة في مجـال التراجم كتـاب:"تـاريخ علمـاء الأنـدلس" لابـن الفرضي، وكتـاب" جـذوة المقتـبس" لمحمـد بـن فتـوح الحميدي، وكتاب" الصلة" لابن بشكوال، وكتاب "التكملة لكتاب الصلة" لابن الأبّار."[1] .

وفي الوقت ذاتـه، نلاحـظ أنّ المشـارقة لـم يكونـوا أقـل عنايـة مـن الأندلسـيين بـالتراجم والبرامج والفهـارس، حيـث أولوهـا عنايـة خاصـة، مـن خـلال الترجمـة للعلمـاء والشـيوخ الذين كان لهم الفضل في نقل العلم للأجيال المتعاقبة. فيذكر بعضهم أن كتاب" يتيمة الدهر" للثعـالبي هـو أول ما وصلنا، ويذكر البعض الآخر أنّ كتاب "البارع" للمنجم سبق الثعالبي في هذا الفنّ، غير أن كتاب البارع لا وجود لـه، وقد تتابعت التراجم الأدبية في العصور، على غرار كتاب "خريدة القصر وجريدة العصر" للعماد الأصبهاني. ولمّا كان فنّ التراجم سليل الفنون الأدبية الأخرى فقد عرف تطورا مهما في المغرب على يد ابن سعيد المغربي، وابن عبد الملك المراكشي، وابن الخطيب السلماني"[2].

وإذا كان النقد الأدبيّ مُزهرا في الغرب الإسلامي بفضل ظهور علمائه ومؤلفاتهم، فإنّ مجال الترجمة عرف تقدما واضحا في الجزائر، ومن أشهر المؤلفات في هذا الفن كتاب"أنموذج الزمان في شعراء القيروان" لابن رشيق وللمقّري تصانيف أخرى في هذا الميدان نذكر منها " نفح الطيب" و"أزهار الرياض" و"روضة الآس" ، دون إغفال كتاب "البستان" لابن مريم وكتاب" الدرّة المصونة" للبُوني وكتاب "بُغية الرواد" ليحيى بن خلدون.. وبعد هذه بقليل وضع كتاب آخر في تراجم أهل بجاية وضعهُ أبو العباس أحمد الغُبريني(644هـ-704هـ)، وسماه "عُنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" ويقف هذا الكتاب متفردا بين كتب التراجم والأدب بما تضمنه من معارف نفيسة، وأخبار نادرة، اختص بها دون غيره من المصادر، وقد أدرك العلماء والباحثون منذ زمن بعيد تلك المكانة وذلك التفرّد، ولذلك راح يذكره الذاكرون باعتباره موسوعة مغاربيّة تتحدث عن الحقبة الذهبية التي عرفتها المدينة الإسلامية العربية، ففيه يتبين للقارئ ما كان لهذه المدينة من الصِلات الوثيقة مع مراكز الحركات الثقافية في العالم الإسلاميّ، ومدى أثرها في الإنتاج الأدبيّ من نثر وشعر وتاريخ وفي العلوم الدينية من فقه وأصول وتصوف. ونجد بجانب هذه الثروة الشّعرية جملةً من رسائل وخطب ونصائح، أحسن المؤلف انتقاءها أسلوبًا وموضوعات، وهي نماذج أدبية لا تخلوا من رقة وعذوبة تمثل ذوق الغُبريني الأدبيّ وانفعالاته النفسية الداخلية التي تُعد عنصرا جيدًا من عناصر السيرة ذات الغاية التاريخية.

2.الحركة الثقافيّة ببجاية في العهد الحفصيّ:

يُعد العهد الحفصي فترة ازدهار حضاري وأدبي وفكري كبير له مميزاته وخصوصياته من حيث العمران والأدب والفكر، وهي مميزات وخصوصيات ستستمر طيلة هذا العهد خاصة في عهد الأمير الأول أبي زكرياء يحي (652هـ-647هـ). الذي اتخذ من بجاية عاصمة له، وشيّد بها القصور والدّور الضخمة والحدائق الغّناء فاستطاب العيش فيها للأدباء والفقهاء والقضاة، وما يمكن ملاحظته على أدباء هذه المرحلة اهتمامهم الخاص بالعلوم الشرعية، ويؤكد ذلك بعض الدارسين بقولهم:"إنّ الطابع الغالب على الثقافة في هذا العصر هو الطابع الديني بصورة أشمل من غيرها فقد بلغ التأثير ذروته في الفنون، وما

يتبعها من نتاج فكري تتحكم فيه بشدة الضوابط الدينية[3]، ولذلك عُرف المغاربة بالعكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، حتى فاقوا غيرهم عددا ومددا في المجاورة بالحرمين الشريفين والحرم الأقصى واشتهروا بكونهم من أشد المسلمين تمسكا بالكتاب والسنة، حتى وقرّ في القلوب أنّهم المقصودون بالحديث الشريف "لا يزال أهل المغرب ظاهرينَ على الحق حتى تقوم الساعة"[4]أما ياقوت الحموي فلم يستثن العوام من حفظ كتب البخاري والمدونة والموطأ[5]. وفي اجتماع هذه العوامل تأسست معالم الحضارة العربية الإسلامية في بجاية، ويكفي أن نشير هنا إلى نخبة من الأدباء والعلماء الذين وضعوا حجر أساس هذا البناء نذكر منهم "ابن مرزوق الخطيب والتجاني، وأبو الحسن علي الخزاعي، وابن مرزوق الحفيد، والفقيه ذائع الصيت ابن عرفة الورغمي صاحب المختصر وصاحب الفتوى الكبرى ومحيي مذهب الإمام مالك وابن عربية والهواري، والقلعي والرحوي، وابن عبد السلام، وابن خلوف القسنطيني، وابن قنفذ القسنطيني صاحب الفارسية"[6]. ويوضح أحمد الطويلي الدور الثقافي لمدينة بجاية بقوله "أصبحت بجاية خلال العهد الحفصي مركزا نشيطا من مراكز الأدب، وحظيت الحياة الفكرية والأدبية بتآليف مهمة اتسمت بطابع الخلود، وبإنتاج شّعري ونثري مهم"[7].

3.مصادر الترجمة عند أبي العبَّاس الغُبريني:

ما يزال عنوان الدراية إلى الآن عمدة المنقبين عن آثار المغرب العربيّ في نواحي التاريخ والجغرافية والأدب والفقه والمحاضرة، فقد اطلع فيه صاحبه على كتب كثيرة وجمع فيه ما يندر عن غيره، ويمكن ترتيب هذه المصادر على الوجه الآتي:

أ_علم الدراية: وهو كما قال "جملة العلوم التي أحتاج إلى ذكرها في هذا الموضع يحتمل الدراية وهو علم الفقه وعلم الأصلين: أصول الدين وأصول الفقه، وعلم العربية وعلم التصوف وعلم المنطق، هذه هي علوم الدراية التي اذكرها في هذا الموضع"[8].

ب_ علم الرواية: ويشتمل على: "علوم التفسير وعلوم الحديث، وعلوم الفقه وعلوم العربية، وعلوم التفسير والتذكير"[9]. وقد تُبنى هذه المعارف على الاتصال الشخصي بالمترجم له، كما حدث في مجموعة التراجم التي أوردها الغُبريني، ولذلك نجده يستمد

معارفه عن طريق السماع، كما جرى عليه الشأن في كثير من كتب التراجم، فيتلقى أخباره سماعًا عن هذا وناقلاً عن ذاك، كما صنع مع الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي يقول: "قرأت عليه رحمه الله وسمعت منه وأخذت عنه وهو أول من بدأت قراءة الفقه عليه"[10].

4. منهج أبي العبَّاس الغُبريني في التأليف للعلماء والصالحين:

لا يجد الباحث عناءً كبيرا وهو يتتبع طرق تصنيف أبي العبَّاس الغُبريني لتراجمه، وذلك وفقا للمناخ الفكري والثقافي والعلمي الذي كان سائدا في ديار البجائيين، إذ كان للقرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه السلام وسنته أكبر الأثر في تكوين مناخ علمي يقوم على اعتماد السنة النبوية أساسا للتفكير والتشريع والكتابة، فكان لابدّ لهذه الحياة أن تسحب ظلالها على الغُبريني إذ حصر في دراسته نوعية خاصة من العلماء والفقهاء، والأدباء والمتصوفة؛ فاختار من نتاجهم ما يثبت تفوقهم وخصوصيتهم، وفقا لمعايير أخلاقية وفنية معينة، مُدعمًا مذهبه النقديّ للعلماء باختيار نصوص شّعرية عديدة.

تظهر على منهج "عنوان الدّراية" ميزة أخرى عن غيره من كتب التراجم والسيّر، وهي الشمول في التعريف بغير شيوخ المؤلف، وتسجيله لبعض الأحداث التاريخية، وإثباته لبعض النماذج الشّعرية والنثرية المنسوبة للمترجم لهم؛ زد على ذلك أنه حفظ لنا صورة صادقة عن الحياة العقلية في مدينة بجاية في مدة قرن كامل، عكست لنا ما كان لهذه المدينة الخالدة من أثر يذكر في تنمية وإنتاج مختلف العلوم الإسلامية[11]. وقد ذكر فيه من مشايخه، من لقيه ومن أخذ عنه، وبدأ فيه بذكر الأشياخ الثلاثة وهم الشيخ أبي مدين شعيب، وأبي علي المسيلي، وأبي محمد عبد الحق، ليستطرد بعدها في ذكر الأشياخ الآخرين على غرار عمارة الشريف أبي الطاهر، وابنته عائشة الشاعرة، وسيدي العربيّ أبى عبد الله، وأبي الفضل محمد بن علي بن طاهر ابن تميم القيسي[12].ثم أعقبها بحوالي مائة ترجمة للذين استقروا ببجاية أو عبروها من العلماء والشّعراء والأدباء وختم كتابه بالحديث عن الكتب المقررة في عصره.

ويمكن القول أيضا –بالاعتماد على تراجم الغبريني وغيره- أن هؤلاء العلماء كان لهم أثر كبير في الحركة العلمية ببلاد المغرب لاسيما خلال القرن السابع الهجري.

ومن الإشارات السابقة يبدو أنّ الغبريني قد نسج على منوال ابن القاضي الذي بنى منهجه حسب العناصر التي أوردها في مقدمة كتابه فقال: "وعرضنا فيه ذكر أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم، ومن كان يغلب عليه حفظ الرأي...وعمن روى، ومن أجل من لقي، ومن بلغ منهم مبلغ الأخذ عنه"[13] وقد أشار الأستاذ عبد الله المرابط الترغي إلى ما أسماه "بالترجمة النموذجية" في كتب التراجم المغربية التي تعتمد على الثوابت الآتية[14]:

أولاً: الاسم الكامل بكنيته ونسبه ولقبه وانتمائه أصلا ومكانا

ثانيًا: عرض مشيخة المترجم به وتسمية رجالها في حدود الإمكان والإحالة على ما استفادهُ من إجازات

ثالثًا: عرض الآخذين عنه وتسمية المشهور منهم

رابعًا: الإلحاح على عرض رحلة المترجم بها إن كانت له رحلة، والحديث عن أحواله أثنائها.

خامسًا: ذكر أحوال المترجم به وأخباره ونشاطه في التدريس، وممارسته للخطط وغير ذلك.

سادسًا: تسمية لائحة المؤلفات التي أنتجهم المترجم به، وتحديد المواقف تجاهها.

سابعًا: ذكر منتخبات من أعماله الأدبية.

ثامنًا: ختم الترجمة بذكر تاريخي مولد المترجم به ووفاته ومدفنه[15].

ويبدو أنّ الغبريني قد سار على هذا النهج إذ نجده يشير للشيخ المترجم له، بذكر سنة ولادته وقراءاته وسماعاته ورواياته وشيوخه، وتفرده ببعض العلوم وكتاباته الإجازة بخطه، كما أنه يضيف جديدا في جزئيات نراها مهمة للغاية نذكر منها ما يلي:

1.4تصديره لمشايخه بقوله:(سيدي، شيخنا)

كثير ممن ترجم لهم الغبريني صدّر ذلك بقوله (سيدي وشيخنا) وهذا من باب الأدب وإعطاء الحق لأهله، من ذلك قوله: "ومنهم شيخنا الفقيه المحصل"[16]. وقوله: "سيدي رضي الله عنه"[17].ويعلق الشيخ عبد الحي الكتاني على هذا الرأي وأشباهه بقوله:" كان الأوائل يطلقون لفظ (المشيخة) على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون على ذلك (المعجم) وأهل الأندلس يستعملون (البرامج). أما في القرون الأخيرة، فأهل الشرق يقولون (الثَبْت) وأهل المغرب يسمونه (الفهارس)[18].

2.4.ذكره كرامات المترجم لهم:

دأب الغبريني على ذكر كرامات العلماء والصلحاء وما امتازوا به من صلاح وعبادة وزهد وورع. إذ يقول مثلا في الشيخ علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله: "وهذه كرامات لا واحدة، وأنظر إلى فضله رضي الله عنه، حيث أبى أن يفتي فيها وتورع عن ذلك الأمر إلى غيره، ولم يظهر إلا أن ذلك لاشتغال غيره وقصوره هو وذلك من فضله"[19]. ويشبه ذلك ما رواه الإمام أبو عبد الله بن عبد الكريم الشهرستاني"بأن كرامات الأولياء جائزة عقلا وواردة سمعا ومن أعظم كرامات الله تيسير أسباب الخير وإجراؤه على أيديهم، وتعسير أسباب الشر عليهم، وحيثما كان التيسير كانت الكرامات أوفر"[20]

3.4.ذكره الألقاب العلمية والدرجات المشهورة والأوصاف:

لقب المؤلف الأدباء والعلماء بأوصاف قد تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من ثلاثة عشرة صفة، فمنها مثلا: الشيخ الفقيه، المحقق، الواصل، القطب، شيخ مشايخ الإسلام، إمام العباد، ويحدث أيضا أن يذكر في بعض ترجماته عبارات تكاد تكون واحدة في الأسلوب فعبارة "الفقيه المجتهد المحصل المتقن"مثلا وكذلك عبارة "الفقيه الصالح الزاهد الورع" نجدها وصفا أطلقه المؤلف على المترجم لهم دون تمييز أو تفريق بين أديب وشّاعر ومحدث ومؤرخ. ويبدو أنّ هذه الكلمات والنعوت والأوصاف العامة هي

أبرز ما يلفت النظر في هذا الكتاب وقد يكون التزام المؤلف وتقيده بها معقولاً، إذ اعتمد على وضع كل نعت أو وصف في مكانه اللائق[21].

4.4.توثيق الأخبار:

من يستعرض ما تحويه كتب التراجم والفهارس، يلاحظ أن "مؤلفي هذه البرامج قد اهتموا اهتماما بالغا بتتبع أصول المترجمين والعناية بالأسانيد التي توصل إلى كثير من المعلومات، وقد اقتضت طبيعة الأمور تمحيص هذه المعلومات ومعرفة الرجال الرواة والثِقات الضابطين، وتتبع سيرهم العلمية والعملية والشخصية، ومبلغ أعمارهم، والوقوف على مسار حياتهم، وما نقلوه من كتب، وما درسوه وتعلموه على مشايخهم، وقد عكف العلماء على ترجمة الرواة النقلة، والعلماء من أهل كل فن"[22]. وهذا ما اتضحت صورته أكثر عند الغُبريني الذي كان دقيقًا، في ضبط تراجمه وتحقيقها دفعًا لأي التباس قد يحصل بينها فنجده يكثر من عبارة "ومن نقل أثق بنقله" وعبارة " و"أخبرني بعض من وثقت به"[23]، وعبارة "وهذه القضية معلومة النقل"[24].وهو ما يبيّن أمانته العلمية في النقل والتحري والضبط، ويبدو أن عرض فهارس الشيوخ وبرامجهم بالشكل المقدم هو مزيّة علمية ومنهجية يختص بها هذا الصنف من التأليف في منطقة الغرب الإسلامي.

5.4.عدم إتباع طريقة واحدة في التعريف بالعلماء من حيث الطول والإيجاز:

لقد أتاحت بعض الشخصيات الإسلامية الهامة الغنية لكتاب التراجم أن يطيلوا في تراجمهم تبعًا لأهميته وغزارة المادة وهذا ما أتاح للغُبريني عرض تراجمه الأدبية بالمنهج نفسه، فنجد أنّه يطيل في بعض تراجمه، فيسجل لأصحابها مواقف كثيرة: كرواية طرائفهم ملحهم، أو مجالسهم المتعددة، أو أخبارهم التفصيلية، ممّا يضيء شخصياتهم التاريخية كما فعل مع الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي[25]، الذي استغرقت ترجمته أكثر من عشر صفحات، ونجد كذلك الشيخ أبا علي حسن بن علي بن محمد المسيلي[26]، الذي أتاح للغبريني أن يترجم له في أكثر من سبع صفحات، وكذلك كانت حياة أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله الاشبيلي[27] مادة خصبة للغُبريني فكتب

في ترجمته أكثر من سبع صفحات ويرى بعض الدارسين "أنّ المترجم قد يطيل في الترجمة مراعاة لجانب المترجم له إذا كان حيا معاصرا، وقد يكون لاعتبار النفوذ، ورعاية الزلفى، وقصد التقرب دخل كبير في مقدار الترجمة والسيرة، بل قد يقصده أحيانا إلى مراعاة المجاملة والتحيّز"[28].وقد يختصر بعض تراجمه من التعريف والأخبار، كما صنع مع الشيخ أبي الحكم مروان بن عمار بن يحيى[29] الذي لم تتجاوز ترجمته خمسة أسطر والشيخ أبو عبد الله ابن أمة الله[30]، وربما يعود ذلك لقلة الأخبار عنهم أو لقلة الاهتمام بهم.

6.4.التراجم حسب العصور:

إنّ فكرة كتابة التراجم حسب العصور أو القرون قد سبق بها الثعالبي (429هـ) حيث ترجم في كتابه المشهور "يتيمة الدهر" لأعلام الشعراء في القرن الرابع، الذي قال فيه أحد الدارسين:" إنّ سائر المصنفين والكتاب بدءً بابن الفرضي، والحافظ الحميدي، وابن بشكوال، وابن الأبّار، وابن عبد البر، وابن بسّام، والفتح بن خاقان،وابن سعيد، والحجاري، وعبد الواحد المراكشي، وابن الخطيب، كل هؤلاء قصرُوا عنه وما حاذوه، ولا يستثنى من هؤلاء إلا ابن خلدون"[31]. وقد ظلت فكرة التراجم حسب القرون محتجبة في القرنين الخامس والسادس إلى أن جاء المؤرخ علي الدين البرزالي (739هـ) فألف كتابه "مختصر المائة السابعة" في تراجم أعيان ذلك القرن، فكان بذلك أول مؤرخ للتراجم العامة وفق القرون.وفي القرن نفسه جاء الأدفوي مؤرخ التراجم المصري المتوفى سنة (748هـ) فألف كتابه " البدر السافر وتحفة المسافر" في تراجم أعلام القرن السابع الهجري"[32]. وقد نهج الغبريني نهج سابقيه من خلال مصنفه، الذي حصر فيه فئة معينة من رجال عصره وشيوخه.

7.4-تحليله ونقده لمنازع واتجاهات المترجم لهم:

إنّ قدرة أبا العباس الغبريني على إصدار الأحكام بموضوعية، وتقويم الحركة الشّعرية للفترة الزمنية التي عاش فيها الأعلام الذين ترجم لهم قد تجلت في تحليله ونقده لمنازع الشّعراء واتجاهاتهم، حيث نجده ينبه إلى مدى تقليد هذا الشاعر أو ذاك للأسلوب

الشّعري المشرقي، فأبو عبد الله التميمي القلعي يسلك في شعره على طريق حبيب بن أوس وكان صاحبه أبو عبد الله الجزائري يسلك في شعره سلوك المتنبي، وكان يتراسلان الأشعار، يجاوب كل واحد منهما الآخر على طريقته ، فكان الأستاذ القلعي رحمه الله ينحو نحو حبيب، والأديب أبو عبد الله الجزائري ينحو نحو المتنبي، ولولا الإطالة لأتيت من شعر كل واحد منهما بما يستظرف معناه ويروق محياه[33]ونلمح بالفعل شيئا من تأثر القلعي ببناء القصيدة التمّامية من خلال النموذجين الذين أوردهما الغبريني، ولاسيما قصيدته التي مطلعها:

الخُبر أصدقُ في المرأي من الخبرِ فمهدُ العذرِ ليسَ الأعيُن كَالأثرِ[34]

والواضح أن هذا المطلع من حيث طريقة بناء جمله الشعرية أوثق اتصالا وأقرب احتذاء إلى مطلع العمّورية:

السَيفُ أصدَقُ إنباءً منَ الكُتبِ في حَدَّه الحدُّ بينَ الجدّ واللَعبِ[35]

ومما يثير الانتباه في هذا الاحتذاء أنّ"الشّعر ليس إلا تقاليد متوارثة تكسب الشاعر القدرة على اكتساب المهارات اللغوية في الصياغة الشّعرية كما يعني من جهة أخرى أن النموذج الجمالي المتوارث أو المحتذى ما زال يؤدي وظيفة جملية روحية يتطلبها الحاضر الذي لم يفرز شعراؤه نماذجه الجمالية المستقلة المتسمة بالإبداع وهي الأصالة باعتبار أن الإبداع في ذاته أصل يجمع بين القديم والحديث ولا يذوب في القديم احتذاء وتقليداً"[36]

8.4- التقاليد الإسلامية للمقدمات:

لعلّ أول ما يلفت النظر في مقدمة الغبريني، أن تقاليدها الإسلامية، تشبه تقاليد الكتب المشرقية بعامة؛ فهي تبدأ بالتحميد والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم يقف

المؤلف على أسباب التأليف ودوافعه. ونقصد بذلك التحميد، الذي يدور في غالبيته حول أهداف الكتاب وغايّاته، ممّا يكشف بعض الجوانب التي يسعى المؤلف إلى التركيز على معانيها ومراميها البعيدة، فالغبريني يحمد الله تعالى "الذي شرح أفئدتنا لمعرفته، وذلل ألسنتنا للإقرار بربوبيته، وشرفنا بوراثة أنبيائه ورسله، وجعل تفاوتهم في علو الدرجات بحسب تفاوتهم في حمله، وأسبغ عليهم سوابغ نعمته، ووعدهم بالمزيد من فضله"[37].

إنّ أول ما يتبادر إلى الأذهان في هذه المقدمة أنها تتميز بالالتزام الموضوعي، فصاحبها يدرك الموضوع بإحالتنا على تراجم "من اشتهر ذكره، ونبل قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته، وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة، لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة للتبرك بذكرهم، ولانتشار فخرهم...وأبدأ بهم رضي الله عنهم، ثم أتلوهم بذكر مشيختي وأعلام إفادتي، ثم أتلوهم بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم رحمهم الله"[38].

وممّا يؤخذ على المؤلف، ما ذكره محقق الكتاب حول الطريقة التي اتبعها المؤلف في ترتيب تراجمه بقوله: "لابدّ من القول أنّ الطريقة التي اتبعها الغبريني في كتابته لتراجم أعلام المائة السابعة، كانت غير ذاتية في معظمها، فهو لم يعتمد على إنتاجهم من حيث القيمة الفنيّة، ولا على الحياة الشخصية أو العوامل التي ألهمتهم هذا الأدب أو هذا الإنتاج، مع أنه كان واسع الإلمام بما كتبوه، متتبعا مراحل حياتهم مرحلة مرحلة، ولذلك لم يعكس في تراجمه صورا واضحة عن ضوء فن كتابة السير والتراجم"[39].

5.خاتمة:

إنّ المتصفح لكتاب "عنوان الدراية" لا يتردد في عده مصدرا بالغ الأهمية للأدب المغربيّ القديم، بما تضمنه من تراجم واستطرادات تاريخية، الأمر الذي يعكس الصور

الاجتماعية والفكرية للحقبة التاريخية التي ترجم لها المؤلف، بالإضافة إلى القيمة الأدبية التي تبدو في تلك الثروة الشّعرية والنصوص الأدبية النثرية التي يحتوي عليها الكتاب، وقد أبان الغبريني من خلاله عن تقنية عالية في الترجمة تختلف عن طرق المترجمين السابقين، وذلك بالنظر لما تضمنته من نهج محكم وتقسيم دقيق، وتوزيع عادل للمعلومات، وتتبع منظم للتفاصيل، فهي تقنية واعدة بمزيد من الجدّة والابتكار.

وتتضح قدرته على تتبع أخبار المترجمين والاعتماد على محفوظاتهم، وتسجيل سرعة خواطرهم وشدة ذكائهم، من خلال حرصه على توثيق المعلومات ورصد الوقائع والاستشهاد بما يقع تحت يديه من الوثائق الضرورية التي يضعها في خدمة الترجمة، ولذلك يمكن اعتباره من المؤلفين القلائل الذين أضافوا للمكتبة المغاربيّة إضافات جديدة.

** *** ***

6. الهوامش:

1- الحسين رحمون، أثر أدب الغرب الإسلامي في الأدب العربي في المشرق، منشورات جامعة محمد الأول، د.ط. الرباط، 2011، ص420.

2-المصدر نفسه: ص409.408

3- عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي. دار العلم للملايين،ج5. ط4. بيروت. 1981.ص366.

4- ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، ، تح: احمد توفيق، كلية الآداب، ط3. الرباط.1994. ص32

5- ينظر-عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية،ج1، ط3، الجزائر. 1982. ص123.

6- السعيد بحري، الشعر في ظل الدولة الحفصية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع،ط1، الجزائر. 2009، ص35.

7- أحمد الطويلي، الأدب بتونس في العهد الحفصي، مركز النشر الجامعي، د.ط. تونس، 2004. ص7.

8- أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، تح: عادل نويهض، دار الآفاق، ط2. بيروت .ص307.

9-المصدر نفسه، ص25.

10- المصدر نفسه، ص66.

11- المصدر نفسه، ص15.

12 - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف. المؤسسة الوطنية للفنون. ج1. الجزائر. 2007. ص26.

13- أبو الوليد ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني،ج1. لبنان. 1984. ص23

14-عبد الله الترغي، التراث المغربي والأندلسي، كلية الآداب، تطوان، ندوات 4 ابريل 1991. ص308.

15-عنوان الدراية، ص65

16- عنوان الدراية:. ص65

17-المصدر نفسه، ص22

18 - هاني العمد، كتب البرامج والفهارس الأندلسية، المركز التقني للخدمات المطبعية ، ط1. الأردن.1993. ص14

19-عنوان الدراية، ص138.

20-التشوف الى رجال التصوف، ص54

21-عنوان الدراية، ص13.

22-كتب البرامج والفهارس الأندلسية، ص13.

23-عنوان الدراية، ص125.

24-المصدر نفسه، ص141.

25- المصدر نفسه: ص22.

26- المصدر نفسه: ص33.

27- المصدر نفسه: ص191.

28- محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف. ط3. القاهرة.1980 . ص82.

29-ينظر-عنوان الدراية، ص321.

30-ينظر- المصدر نفسه، ص215

31- محمد بيومي، الأدب الأندلسي، إدارة الثقافة والنشر . جامعة الأزهر . د.ط. القاهرة. 1980. ص47.

32-التراجم والسير، ص47

33-المصدر نفسه،ص36

34-المصدر نفسه، ص35

35-ديوان أبي تمام .تح: محمد عبده عزام. دار المعارف، القاهرة، ط1965.ج3. ،ص165

36- أحمد يوسف علي، مفهوم الشعر عند الشعراء، دار الوفاء، القاهرة، طبعة 2019. ص254

37-عنوان الدراية، ص19

38-المصدر نفسه:ص20

39-المصدر نفسه:ص15